النفائس

مجموعة لطائف وفكاهات

تصدر مرة في الاسبوع

لمنشئها

خليل بيدس

الاحد في ٢٠ (و ٧) كانون الاول سنة ١٩٠٨

ابناء البخت

واذا السعادة لاحظتك عيونها نَم فالمخاوف كلهن أمانُ
واصطد بها العنقاء فهي حبالة واقتد بها الجوزاء فهي عنانُ

هل سمعت ايها القارئ اللبيب ان احداً يكره المال ويود من صميم القلب ان يتخلص منهُ ويعيش بعيداً عن كل موارد الثروة والجاه؟ هل سمعت ان احداً من كبار الاغنياء واعاظم الموسرين ينظر الى ملايينهِ بكل ضجر وحزن ويبحث عن كل وسيلة تسهل لهُ تبديد هذه الاموال الطائلة حتى لم يعد يبقى عنده شيء؟ بالحقيقة ان امراً كهذا مستغرب غاية الاستغراب. غير انه حادث فعلاً لبعض مشاهير الاغنياء في

كل عصر . وها نحن نقص على القارىء انباء ثلاثة من هولاء الاغنياء الذين رافقهم الحظ وحالفهم البخت مدى الحياة بحيث ملوا اخيراً التقادير ونفروا من ملازمة السعادة و بحثوا عن الراحة من غير طرق الترف والنعيم . غير انهم لم يظفروا بهذه الامنية لان البخت كان الزم لهم من ظلهم كما نتبين ذلك مما سيلي

(١) غودسون بارنيت

هو احد مشاهير اغنياء الانكليز اشتهر بملايينه ومناجمه النحاسية غير انه كان ينظر الى اتساع ثروته بمنتهى الكراهة . ولما بلغ سن الشيخوخة وقف لاكثر جمعيات البر والاحسان كل ثروته تقريباً اي مقدار اربعة ملايين ليرة استرلينية . فشكرته الملكة على هذه اليد البيضاء وارادت ان تمنحه لقباً سامياً بيد انه ابى قبول ذلك وارتحل ثم مع خادم له طاعن في السن الى بلدة فوتن ليقضي باقي ايامه في العزلة والسكون مقتصياً بعيداً عن الغنى وقد ابقى لنفسه من ثروته دخلا سنوياً مقداره اربعمئة ليرة استرلينية فقط

غير ان السعادة لازمته وازعجته في حالة انفراده فكأنها أبت الا ان تصب عليه المال صباً وتوسعه من كنوز الارض كسباً فانه لم يمض على ارتحاله الى فوتن عشرة اشهر حتى بلغه ان احد المهندسين اقام مدة يفحص احد المناجم المتروكة التي كان قد اهملها غودسون في هوديتا البريطانية لعدم صلاحيتها وارسل يلتمس من غودسون ان يبيعه

المنجم المذكور بمبلغ خمسين الف ليرة · فاجابه بكل جفاء انه لقاء فحصهِ واتعابهِ يقدر ان يستولي عَلَى المنجم بدون ان يدفع شيئاً بشرط ان لا يعوق الى اقلاقهِ بهذا الشان · واما المنجم فأُصلح بعد ذلك وصارت الايرادات السنوية الناجمة عنه تربو عَلَى تسعين الفاً من الليرات

ومع هذا فلم يحصل غودسون عَلَى تمام الراحة · فانهُ بعد حديث المنجم بشهرين ورده خبر موت احد انسبائه الذي ترك لهُ بوفاتهِ مئة الف ليرة فانقبض غودسون لظهور هذه التركة وامر للحال بان تُرصد كلها لمأوى نورتونوف المشيد لاجل اليتامى والمحاويج · وبعد هذا غادر بلدة فوتن وشخص سراً الى بلدة اصغر منها تُدعى تفيستوك وهي واقعة في مقاطعة ديفونشير وقد مَنَّى نفسه بانقطاعه عن جميع العالم هنا · بيد انه لم يكد يلقي عصاه حتى جاءه بان احد اقاربه اوصى لهُ بمبلغ ثلاثين الف ليرة فوزعها غودسون للحال على بعض المستشفيات · واخيراً — قبل موته ببضعة ايام — وردتهُ رسالة برقية تعلنهُ ربح نمرة كان منذ زمن مديد قد ابتاعها من احدى شركات اليانصيب · ومقدار الربح خمسة الاف ليرة فاضطرب غودسون لهذا الخبر واشتد عليه وقعهُ بحيث انهُ لم يمضِ بعد ذلك الا مدة قصيرة جداً حتى قضى نحبهُ وهو يلعن المال

(٢) المس كمبدن برت

هي انكليزية ايضاً وقد بذلت مجهودها لتتخلص من تحامل السعادة

وملازمتها . وكانت ثروتها في بادىء الامر ثلاثين الف ليرة . فكانت مطمئنة البال منشغلة بالمبرّات والصدقات . ولما صار لها من العمر خمس واربعون سنة ورثت ثلاثمئة ليرة . وللحال تولاّها الكره الشديد للغنى وصارت تسعى في انفاق هذه الثروة الطائلة . فاقامت في سنة ١٨٩٣ في كثير من احياء لندن مطاعم مجانية ووقفت مبالغ كبيرة اخرى لوجوه الخير والاحسان . وعلى هذه الصورة لم يمر عليها العام حتى انفقت كل تلك الاموال تقريباً ولم يبق لديها الاّ دخل قليل لمعيشتها وحينئذٍ اشترت في احدى ضواحي لندن (في فولغام) منزلاً صغيراً أوت اليه راغبة في حياة الوحدة والدعة . ولكنها اضطرَّت بعد بضعة اشهر الى بيعه بربح جزيل وذلك ان البقعة التي كان قائماً فيها منزل السيدة برت احتيجت لبعض المشاريع الوطنية العمومية وقرَّرت الحكمة اخذ المنزل المذكور بمبلغ اثني عشر الف ليرة فاخذتها السيدة برت وشادت بها مستشفى للفقراء وانتقلت هي الى احد المصايف في سور بيتوك وكرَّست هناك كل اوقاتها لاعمال البر وعيادة المرضى . واتفق انها تعرّفت في تلك الجهة بواحد من اصحاب المعامل وكان من ذوي الغنى الطائل . فمرض هذا الرجل واشتد عليه الداء بحيث انقطع رجاؤه من الحياة وكان يتوقع الموت كل يوم . فاعتنت بهِ برت اعتناءً شديداً وبمساعيها وخدَمها او بالحري لسعدها وتوفيقها برىء الرجل تماماً . فشكر السيدة برت علَى عنايتها ودفع لها لقاءَ ذلك خمسين الف ليرة .

اما هي فخصصت هذا المبلغ لتشييد الكنائس والمدارس في المستعمرات الانكليزية . وظلت التقادير تخدم هذه السيدة كلما نفرت هي منها . ففي سنة ١٨٩٨ وجهت كل عنايتها باجادمهرة الفنون . وكان وقتئذٍ عليلا لانهماكه المتواصل في سبيل اكتشاف مهم كان يجهد نفسهُ لابرازه الى حيز الوجود . فلما رأى من السيدة برت تلك العناية والمداراة وعدها بان يقدم لها نصف المبلغ الذي سيبيع به اكتشافه بعد ابلاله . ولم يمضِ مدة طويلة حتى تعافى المكتشف المشار اليهِ فباع اكتشافه لاحد اصحاب الملايين وقدّم للسيدة برت احد عشر الف ليرة . .

(٣) كوربي

هو ايضاً احد اكابر اغنياء الانكليز الذين ابتسم لهم البخت واوطأهم التوفيق محلاً رفيعاً . غير انهُ لم يلبث ان كره انعطاف السعادة ونظر الى الغنى كالى اكبر اسباب التعس والشقاء . وكان لهذا الرجل عدة مراكب تجارية فباعها من عهد ليس ببعيد بمبلغ مليون ونصف من الليرات الاسترلينية دفعها كلها تقريباً لورثته وارتحل الى الايكزيتور حيث ابتاع بقعة صغيرة من الارض فيها حديقة وحقل وعزم على العمل فيهما بنفسه ليعيش من ايرادهما . غير ان البخت لم يدع هذا الرجل يتنعم في تلك البقعة بمزاولة اعمال الزراعة بل اقلقهُ بخبر منغص جداً لنفسه . اما الخبر فهو ان احد مراكبه الذي غرق في سنة ١٩٠٠ في المحيط الهادىء قد انتشل من الماء ولم يتلف محموله وان بعض

التجار يدفعون ثمنهُ بما فيه ستة عشر الف ليرة · فاجاب كوربي بان المركب وما فيه هبةٌ للذي انتشلهُ …

ثم انه حباً بالراحة والسكينة اشاع بانهُ فقد كل مقتنياته وامواله وليس لهُ ادنى علاقة بشيء من هذا القبيل · ولكنه لم يمض على ذلك ثلاثة اسابيع حتى ورده بطريق البريد صرةٌ متضمنة مبلغ ثلاثة الاف ليرة اكتتب بها اصدقاؤه لما بلغهم النبأ المذكور انفاً · اما كوربي فلم يقبل هذا المال بل ارجعهُ الى مرسليهِ معتذراً وطالباً منهم ان لا يعودوا بعد الى تعكير صفاء حياته بمثل هذه التقادم المالية التي هو ليس بحاجة اليها قط · بيد ان السعادة لم ترعو · فان كوربي كان قد جاءه قبلاً من احد عماله ومديونيه في جنوبي افريقيا بضعة الاف شذرة ذهب ولما عرضت للبيع بلغ ثمن الواحدة ثلاثة شلينات · فلم يبعها كوربي وقتئذٍ بل ابقاها عنده معتبراً اياها اشياء لا ثمن لها ولا قيمة · غير ان هذه الشذور بعد مضي سنة من حادث الاكتتاب قد ارتفعت اثمانها ارتفاعاً فاحشاً بحيث بيعت كل شذرة بعشرين ليرة · اما ثمنها فلم يبطئ كوربي ان وهبهُ جميعه لورثته · واخيراً — وذلك قبيل وفاتهِ — ورث كوربي عن احد اقاربه ثمانية الاف ليرة · ولكي يتخلص من هذا المبلغ بسرعة وهبهُ في الحال لموزع البريد الذي قدم له الرسالة المتضمنة الحوالة بالمبلغ المذكور

ولستُ ارى السعادة جمع مالٍ ولكنَّ التقيَّ هو السعيدُ

المهارة في الزواج

بهذا العنوان ألّف احد علماء الافرنج كتاباً علمياً كاملاً بيّن فيه كل الوسائل والذرائع المفيدة التي تخدم كل فتاة ولو كانت من العوانس وتنيلها مبتغاها من هذا القبيل · وحبذا لو كان في الامكان اطلاع حضرات قارئاتنا العزيزات على كل ما تضمنهُ هذا الكتاب النفيس الفريد في بابه الذي سيخلد لمؤلفه بلا شك ذكراً مجيداً · بيدَ انا نورد لهنَّ بعض ارائه · قال :

ان الفتاة التي بسن الخامسة عشرة فما فوق الى سن الثلاثين لا تفكر الا بالزواج وهي في كل هذه المدة تجهز نفسها له وتبحث في ذلك بحثاً متواصلاً · غير انها اذا تجاوزت هذه السن يتولاها الفشل ويتلوه اليأس · لان معدل المتزوجات مما فوق هذه السن اثنان في المئة فقط · فدفعاً لمثل هذه المصيبة عن كثير من افراد الجنس اللطيف استقصى المؤلف اهم الذرائع وهي في عرفه (صناعة الطبخ) فقال انها اقوى واسطة فعالة وانجح ذريعة لان الطعام الفاخر يؤثر في العزبان ولو كانوا كهولاً تاثيراً حسناً · نعم ان لبشاشة الفتاة وادابها ومعارفها واعمالها اليدوية ورقة احساساتها وعواطفها وحبها تاثيراً لا ينكر غير ان لصناعة الطبخ تاثيراً اتم وابلغ ولا سيما في العزبان الكهول · ثم روى المؤلف قصة وقعت له فقال :

اني احببتُ ان ابقى عزباً طول عمري غير اني تناولت مرة طعاماً

فاخراً جداً (لحماً مصنوعاً بغاية المهارة والاتقان) نبّه في قلبي الرغبة الى الزواج ولم البث ان اقترنت بتلك الفتاة التي ادهشتني بمهارتها وحسن ذوقها ...

ونحن نتمنى هنا ان تقبل فتياتنا على تعلم صناعة الطبخ وليعتبرنَ ذلك من اهم واجباتهن البيتية ليس حباً بالزواج فقط (على راي المولف السابق الذكر) بل لان ذلك من واجباتهن الخاصة ومحاسنهن المشكورة

منثورات

يوبيل اقلام الرصاص

تم في اوائل هذا العام مئتان وخمسون سنة منذ ظهور اقلام الرصاص التي نكتب بها ونعتبرها بسيطة في تركيبها وهي ذات شان خطير لبني الانسان فقد كان الرومانيون قبل ان اخترعت هذه الاقلام يستعملون قطعاً مستديرة من الرصاص ولكن اكثر استعمالها كان لرسم الخطوط وفي القرن الرابع عشر شرع الناس في استعمال الاقلام الرصاصية والفضية التي كان يستعملها بوجه خاص المصورون والرسامون . وقد ظهرت هذه الاقلام على الغالب اولاً في ايطاليا . ثم صار يذاب الرصاص مع القصدير . وما زالوا ينتقلون من درجة الى احسن حتى وفقوا اخيراً الى الطريقة المستعملة الان وكان اول اكتشافها سنة ١٦٥٨ حينما

اكتشفوا في كمبرلندة من بلاد الانكليز مادة اكثر ملاءمة للكتابة وهي معدن الغرافيت فصاروا من ذلك الحين يتخذون من هذا المعدن عيداناً رفيعة ويلبسونها خشباً . ولما كان الغرافيت الانكليزي غالياً وليس بممكن ان يؤخذ منه المقادير المطلوبة صاروا يضيفون اليه موادّ اخرى كالكبريت ونحوه واول ظهور اقلام الرصاص في جرمانيا كان في قرية شتاين بقرب نيورنبرغ واول من انشأ معملاً فيها لهذه الغاية رجل منها اسمهُ كاسبار فابر وكان ذلك في بدء القرن الثامن عشر وهو الزمن الذي اكتشف فيه معدن الغرافيت في جرمانيا واوستريا . وفي سنة ١٧٩٥ قام رجلان من اصحاب المعامل يقال لهما يوسف غاردمون وجاك كونته وصارا يضيفان الى الغرافيت نوعاً من الخزف فانتجت هذه الطريقة فوائد كثيرة لانهم بها صاروا يصنعون الاقلام على اختلاف انواعها من حيث الصلابة والاسوداد وقد ذاعت هذه الطريقة في سائر اقطار اوروبا وصاروا يعولون عليها واما نيورنبرغ فلم تزل لحد الان اشهر محل لذلك ففيها ثلاثون معملاً تجهز كل سنة نحو ثلاثمئة مليون قلم رصاص

سرعة الرسائل البرقية

امتحنت احدى جرائد الدانمرك من مدة ليست ببعيدة السرعة التي تقتضيها الرسائل البرقية حول العالم . فبعثت برسالتين برقيتين في وقت واحد احداهما عن طريق شانغاي ونيويرك ولندن والاخرى

عن طريق لندن فنيويرك فشانغاي · فسبقت الاولى الثانية ووصلت الى كوبنهاغن (محل صدور الجريدة في الدانمرك) بعد مضي ٣ ساعات و٣٣ دقيقة من ارسالها · ومما لا بد من ذكره ايضاً ان الرسالة المذكورة تكررت كتابتها في اثناء سيرها ثماني مرات في لغات مختلفة · فتامل هذه السرعة العجيبة وقسها بالسرعة التي تجري في بلادنا ترَ الفرق طفيفاً لا يذكر

عالم غير نبيه

مما يؤثر عن خريستينا ملكة اسوج الي ولدت سنة ١٦٢٦ وتوفيت سنة ١٦٨٩ انها كانت على جانب عظيم من النباهة والعلم · وكانت تحب رجال العلم والفنون وتكرمهم غاية الاكرام · ومن جملة هولاء العلماء رجل اشتهر بمعرفتهِ لطائفة كبيرة من اللغات المختلفة يقال له سالمازيوس فكان له خبرة ومعرفة باكثر لغات العالم فضلاً عن معرفته لاكثر اختراعات واكتشافات العالم القديم والعالم الجديد حتى لقبوه (بالمكتبة الحية) وكانت الملكة تكرم هذا العالم الكبير وتحب مجالسته والاستفادة منهُ · ومرة دعتهُ لمناولة طعام الغداء على مائدتها وكان هذا العالم احسر اي قصير النظر فلما دخل ردهة الطعام لم يتحقق جيداً مكان الكرسي المعد له بازاء المائدة فجلس بقربهِ وهوى ساقطاً الى الارض واصابه من جراء ذلك الم شديد · فتأثرت الملكة لهذا الحادث وقالت مسكين سالمازيوس ! فانهُ يعرف اسم الكرسي بجميع لغات العالم ولكنه يجهل كيفية الجلوس عليه

حكمة النملة

احتقر الغنيُّ الفقير . وابغض الفقير الغني وكلٌّ منهما في شديد الحاجة الى الاخر . فافتخرت النملة وقالت : انا احكم من البشر

الحلية الطبيعية

قالت امرأة فقيرة لابنتها وكانت ملابسها غاية في السذاجة : ابن ستار عنقك فاني لا اريد ان يظهر . فاجابتها الفتاة وكانت من ذوات الجمال الباهر : اذن فماذا تكون حليتي يا اماه ؟

عوائد الهوتنتوت

للهوتنتوت (وهم امة في افريقيا) عوائد بالغة منتهى الغرابة ولا سيما في الزواج . قيل اذا ترملت المرأة عندهم وارادت الزواج ثانية تعين عليها ان تقطع اصبعاً من اصابع يديها . واذا مات زوجها الثاني وعزمت على الاقتران بثالث قطعت اصبعاً آخر وهلم جرا . واتفق ان ارملة اقترنت بعشرة ازواج ولما مات العاشر وعدت الاقتران بغيره تعذر عليها ذلك لانهُ لم يبقَ لها اصبع تقطعهُ . وهكذا قضي عليها بالحرمان

نصائح صحية

— المرض في الثياب الرطبة والفراش الرطب

— جدد هواء بيتك فالمرض رفيق الهواء الفاسد

— اياك والسكنى حيث الوخامة والنتانة فانها قرارة الاسقام

آثار ادبية

المباحث — عنوان مجلة علمية ادبية سياسية فكاهية لمنشئيها الكاتبين الفاضلين جرجي افندي وصموئيل افندي يني · وقد وردنا الجزءان الاول والثاني منها فوجدناهما حافلين بالمقالات المفيدة في اغراض شتى من المطالب المشار اليها · منها مقالة في تاريخ الشورى ومقالة في الفلسفة العربية واخرى في السكة الحجازية والتجارة السورية في القرون الوسطى والفروسية وائتلاف الافكار ورواية متتابعة اسمها فتاة الجزائر وغير ذلك من جليل المباحث وصحيح الفوائد وكلها في عبارة فصيحة محكمة النسج تنطق بما عهد في منشئيها من البراعة في صناعة القلم وبُعد المدارك في مجال العلم والادب · وهي تصدر في طرابلس الشام مرتين في الشهر بثمانٍ واربعين صفحة وقيمة الاشتراك فيها ١٥ فرنكا في طرابلس و١٧ في الخارج · فنثني على حضرة صاحبيها الفاضلين لما يتوخيانه من عموم النفع ونرجو لمجلتهما المفيدة ما تستحقه من الاقبال والانتشار

تنبيه

وقع غلط في الجزء السابق لم يُنتبه لاصلاحه وذلك بان صفحة ١٣٥ وضعت قبل صفحة ١٣٤ فاقتضى التنبيه

﴿ شقاء الملوك ﴾

(تابع لما قبل)

ووقف بعد ذلك الاثنان وكلٌّ منهما ينظر في وجه الآخر ويناجي افكاره

واخيراً قالت الملكة — وحياتك؟

قال — حياتي ؟ وهل تهمكِ حياتي او مماتي ؟ لقد انقضى من حياتي معظمها ولم يلن قلبكِ . ومما قالهُ بعض العلماء ان العواطف والاميال قد تموت اذا مرّ عليها كرور الاعوام . غير اني لا اصدق ذلك . لان عواطفي لم يفقد منها شيء بل اراها تزداد مع الايام . ومن يعرف اذا كنا بعد مدة نظهر بغير هذا المظهر الذي وُجدنا فيه كل هذه السنين فقد يمكن ان تستيقظ عاطفة الحب في قلبكِ ولو يسيراً فنحيا حياة حقيقية

وكانت الملكة تسمع بكل اصغاء وهي صامتة لا تكاد تتنفس . فاستتلى الملك حديثه بقوله — بقي شيء اخر اريد ان افاوضك فيه قبل الوداع وهو يتعلق بولدنا غومفري فهل تبين لك منه شيء يوضح سبب اختلافه المتتابع الى الجزائر

قالت — لم اسمع منه شيئاً مما تقول

قال — الذي اظنهُ ان الفتى قد احبَّ فتاةً وهو يكتم ذلك جهده فعلينا ان نكتشف سرّه وندفع عنهُ كل خطر . فاذا احببتِ

فارجوك ان تصحبيني في هذا الاسبوع اذ يمكننا هناك ان نطلع على شيء من خفاياه

قالت — واي شيء له في الجزائر . فهناك لا يقطن الا صيادو المرجان وليس بينهم احد من الغرباء لانهم لا يسمحون لغريب ان يطأ ارضهم

قال ومع ذلك فغومفري يتردد الى هناك كل يوم ولا يعود الا في المساء ولا يعقل ان يكون تردده على هذه الصورة بلا داعٍ موجب . وقد سألته الافصاح عن سره فلم يشأ . فاذا توفقتِ انتِ الى الاطلاع على شيء من ذلك فارجو ان تشعريني به

قالت — اذا عرفت شيئاً فلا اتاخر عن اخبارك

فدنا الملك منها واخذ نرجسة عن صدرها وقال استودعك الله الان . اما هذه الزهرة فستبقى معي كذكر منك . فهي بيضاء وجميلة وقلبها الذهبي مخبوء فيها في ابعد مكان . . . ثم تناول يدها فقبلها وخرج

وبقيت الملكة وحدها بضع دقائق متأثرة لكلام زوجها وهي المرة الوحيدة التي فعلت كلماته في نفسها ثم اخرجت من بين اثوابها الرقعة التي سلمها اياها فاعادت قراءتها مرة ومرتين ولم تشعر الا بدمعتين كبيرتين قد سقطتا من عينيها على وجنتيها الحارتين وقالت — حقاً انه شجاع جداً

ولكنها لم تلبث ان ذعرت وغضبت على نفسها لاستسلامها

للعوامل فاصلحت من شانها وخرجت الى حيث كان العزف والغناء كانهُ لم يكن شيءٌ

الفصل الرابع عشر

الخطيب

وكان في اليوم التالي ان السماء اربدّت بالغيوم فحجبت ضياءَ الشمس وأنذرت الارض بالمطر · وقد أثَّر ذلك في جمهور سكان العاصمة تاثيراً اسيئاً لان ذلك النهار عندهم كان عيداً دينياً حافلاً يصير فيه حسب العادة طواف احتفالي من الساحة العمومية الى الكنيسة وفي هذا الطواف يجب ان يشترك نحو ثلاثمئة ولد من الصبيان والبنات وبالرغم عن انذار السماء بالمطر فقد قرر رجال الدين ان لا يحدث تغيير شيءٍ من طقوس الاحتفال ·ففي الساعة المضروبة اخذ يتوافد الى الساحة جماعات الاحداث وكلهم بالالبسة البيضاء ونحو الساعة الثالثة بعد ظهر ذلك النهار قرعت اجراس الكنيسة ومشت جماهير الخلق يتقدمهم الكهنة بحللهم و بايديهم المباخر تتبعهم صفوف الصبيان والعذارى وفي ايديهم الشارات المختلفة ووراءَ الاولاد جمهور غفير من الرجال والنساء على اختلاف الطبقات والمهن ولوائح المسرة بادية علَى الجميع ·وكان الاحداث ينشدون الترانيم الشجية فتجاوبهم السماءُ بقصف الرعود والهواءُ بشدة الرياح

وكانت الكنيسة التي يقصدها هولاء الجماهير مشيدة على رابية عالية وحولها ساحة كبيرة مربعة كان يُرى في بعض اطرافها منذ صباح ذلك النهار رجلان احدهما طويل القامة مفتول العضل ذو منظر ورواء وله عينان حادتان ولحية قصيرة سوداء وشعر طويل واسمهُ سرج طوردن. واما الآخر فكان طويل القامة نحيف الجسم لهُ لحية قصيرة شقراء واسمه جاك سيغوتا وكان الاثنان واقفين في باحة الكنيسة على محل مشرف على تلك الخلائق وهما ينظران اليها ويهزان روؤسهما و يتحادثان

فقال جاك هل سمعت يا سرج ما فعلهُ الملك ضد الجزويت

فاجاب سرج — كلا لم اسمع شيئاً فهات ما لديك من الاخبار

قال — سمعت ان الملك قد جافى جماعة الجزويت ورفض ان يعطيهم الاراضي التي طلبوها

فضحك سرج وقال لا اقدر ان اصدق هذا الخبر لان الملك يخشى باس الجزويت فلن يجعل نفسه هدفاً لسخطهم وغضبهم

قال — اني لاعجب منك يا سرج فانت لا تصدق شيئاً مما تسمع او تقرأ

قال كيف تريد ان اكون وابصمة سمع وانت تعلم يقيناً ان الناس قد تعودوا الكذب والمراوغة واما الصحف فدأبها المخادعة والبهتان

قال ولكن لا يمكنني تكذيب هذا الخبر وقد نقلتهُ الجرائد واثبتته اثباتاً لا سبيل الى انكاره

فوضع سرج يده على كتف رفيقهِ وقال — وهل تصدق انت ان الملك الذي ترك الامة ثلاث سنوات في قبضة كاتم اسرار الدولة وكبير الوزراء وهما من اكابر المراوغين المنافقين يتصدّى الان لمعاكسة الجزويت ومناهضتهم والاحجام عن تلبية سوء لهم . ان ذلك لمستحيل

فقال جاك وقد ظهرت عليه علامات الانفعال — واذا كان ماقلته لك صحيحاً؟

قال — اذا كان ذلك كما تقول فقد فعل الملك حسنة واحدةً قبل ان ينطلق الى جهنم

. . .

وكان الناس في هذه اللحظة قد وصلوا الى طرف باحة الكنيسة فادلهمت السماء ولمع البرق ولعلعت الرعود وثارت الرياح حتى ان كثيرين من الاولاد والنساء والشيوخ وقعوا علَى وجوههم الى الارض وقد ارتفع الصياح واللغط من كل جانب . فترك سرج رفيقه واسرع فوثب الى عربة في وسط الباحة وادار نظره في ذلك الحشد وقال بصوت جهوري : الى اين انتم ذاهبون ايها الناس البسطاء . افتريدون الصلاة لله ؟ صلوا له الان هنا تحت لمعان بروقهِ وهزيم رعوده . صلوا له بكل قلوبكم ونفوسكم وعواطفكم . وحريتكم . انتم تبحثون عن الله فهو هنا معي

ومعكم على الارض وفي السماء وفي العاصفة فلا تطلبوه في الكنائس فقط لانهُ هنا و بيننا وفي كل مكان

وكان الاهلون يعرفون هذا الخطيب قبل الان وطالما سمعوا خطبه الرنانة واعجبوا به اسيء اعجاب . فلما رأوه الان وسمعوا اقواله وقفوا مصغين وقد تطالت اعناقهم ولم يشعروا بالمطر الذي كان منهمراً في تلك الساعة . اما رجال الدين فلم يعبأُوا بكلام الخطيب بل جمعوا الاحداث ودخلوا بهم الى الكنيسة و بقي جمهور الشعب خارجاً كأن على رؤُوسهم الطير . فقال سرج : انظروا الى هناك (واشار الى الكنيسة) فالابواب مفتوحة . فلماذا لا تدخلون . ان هناك مرمراً ثميناً وصوراً جميلة واحجاراً كريمة وهيكلاً فخيماً وترتيلاً شجياً . هناك تقدرون ان تعاينوها لو دخلتم . فما بالكم لا تدخلون . . ما بالكم واقفين تسمعون كلامي . ذلك لانكم تعرفون اني صديقكم الحميم واني اريد ان اقول لكم الحقيقة بعينها بخلاف من يريد الضحك على جهالتكم . تعلموا يا اخوتي جهدكم فان العلم وهو الحسنة الوحيدة التي تصدقت بها عليكم الحكومة الحالية يكون لكم بمنزلة المصباح الساطع في ظلمة حياتكم فكلما ازددتم علماً ازددتم قوة لان العلم هو اساس العمران ومصدر كل قوة فبهِ تصلون الى اسمى مراتب المجد . ولا تقوم للبلاد قائمة الاَّ به . فباطلاً تتعبون و باطلاً تجتمعون اذا لم يكن العلم مقدمة مطالبكم وفاتحة اعمالكم . فبالعلم يعلو شانكم وترتقون الى اعلى درجات الكمال وتصيرون امةً

يُخشى باسها ويعزُّ جانبها · بالعلم تتنوّر عقولكم وتسمو مداركم وتعرفون قيمة الوطن فتخدموه بكل جوارحكم وتفدوه بارواحكم · بالعلم تعرفون الحق فتتبعوه والشر فتبتعدوا عنه · وحينئذ تسعد بلادكم وتهنأ عيشتكم وتتلاشى من بينكم التعاليم الكاذبة ويهلك المعلمون الكذبة وتصيرون امة سعيدة عارفة واجباتها نحو الله والناس · اما اذا كنتم امة جاهلة لاحظٌ لكم من العلم والمعارف فتزداد عليكم سلطة المنافقين السفاحين وتنشب فيكم مخالب الطغاة الظالمين وليس في ايديكم سلاح تدافعون بهِ عن حياتكم وحقوقكم · نحن الان عبيد ارقاء للحكومة الظالمة ليس لنا شان يراعى ولاصوت يسمع وانما نحن كآلة يتوكأ عليها اهل المطامع لنيل السيادة ولكننا اذا تعلمنا وانتشرت بيننا المعارف فلا نعود نرضخ الاَّ للحق ولا نصير عبيداً لاحد · فيا اخوتي الاعزاء و يا اصدقائي الامناء اطرحوا عنكم هذه القيود الضخمة · اكسروا ابواب سجنكم ولا ترضوا بالذل والصغار ولا تالفوا الظلم · انتم الان لاتفقهون معنى الاستقلال الذاتي او الحرية الشخصية فاجتهدوا ان لا تغفلوا هذا الامر العظيم · اجتهدوا ان تفتحوا عيونكم لتنظروا الحقيقة وتسيروا في سبلها · لقد تمَّ لكم الان بعض الشيء من الحرية فكونوا اشداء واطلبوا المزيد · كونوا رجالاً وسيروا الى الامام بلا وجل · اطرحوا الخوف وجاهدوا في سبيل الحرية والعدل · اليوم سمعت ان الملك قد رفض ان يمنح جماعة الجزويت الاراضي المطلوبة · فهل نسمع غداً انهُ عزَل كارلوس بيروس من

وظيفته...

ولما قال الخطيب ذلك وقف قليلاً يتأمل في وجوه الناس فرأى السرور طافحاً على الجميع والانظار محدقة به تتلقف كلماته بمنتهى الاصغاء واللذة فاستتلى قائلا : ويخيل لي اننا لن نسمع ذلك فاما رفض الملك لمطالب الجزويت فما هو الا سياسة وقتية لان الملك جبان. فهو يخشى الفتنة. يخشى ان يهب الاهلون ضد الكنيسة. ولكنهُ الا يعلم ان في استطاعة الاهلين ان يثوروا ضده.. فكارلوس بيروس هو اكثر شراً وظلماً من الجزويت

وما قال الخطيب هذا حتى ارتفع هتاف الاستحسان من جميع الجهات واشتد تصفيق الايدي. ولما سكنت الحركة قال : فمن هو هذا كارلوس بيروس.. اوليس هو ابن الشعب .. فهو قد صار بفضل الشعب كاتم اسرار الدولة ولم يصل الى هذه الدرجة الا لانهُ اقسم على الامانة للامة. غير انه قد حنث الان بيمينه وخدع الامة لانه يريد ان يستعبدها و يبيعها. فكيف يجوز ان نصبر علَى ذلك طويلاً. اوليس نحن احراراً.. فكيف ندع مثل هـذا الرجل يتلاعب بنا و يخدعنا كيفما شاء. فلا يجب ان نصدقهُ او نصدق غيره من رجال الحكومة الذين يضحكون علَى الامة. لا يجب ان نصدق الجرائد لانها كلها تخدم الاهواء وقد رشاها كارلوس وامثالهُ فهي لا تصدع الا بما يحبون

(ستأتي البقية)